وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الثالث

محفوظة
جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN: 9789922778341

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) – الطبعة الأولى – كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. – (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – في القرآن – مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) – دراسة.
٤. الإسلام والسياسة – مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) – مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع – مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الثالث، (٥٣٨ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام – الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٣) – لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي
أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

الأثرُ القرآني لأمير المؤمنين عليه السلام في العلوم القرآنيّة جامعيّة القرآن انموذجًا ١١

أ.م.د. أصغر طهماسبي البُلداجي

تأثيرُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في سياسةِ الحكمِ الرشيدِ والعلومِ القانونيّةِ..... ٤١

أ.م.د إقبال عبد الله أمين

الأبعاد القرآنيّة الأخلاقيّة والإيقاعيّةفي حِكَمِ الإمام عليّ عليه السلام..... ٦٣

أ. م. د. تومان غازي حسين فتات الخفاجي

الاستراتيجياتُ القرآنيّة في خطبِ الحربِ والجهادِ للإمامِ عليّ عليه السلام قراءةٌ استشرافيّة ١١٣

أ.م.د. رحيق صالح فنجان

الموجّهات التفسيريّة عند الإمام عليّ عليه السلام ١٣٣

أ.م. د. رياض عبد الرحيم حسين

أثر القيم الدينيّة في النشاط الاقتصاديّ نموذج القيم الإسلاميّة عند الإمام عليّ عليه السلام .. ١٦٥

أ.م.د عدنان حسن موسى سلمان العبيدي/ أ.م.د حسين علي ريس المشهدانيّ

الرقابةُ الاقتصاديّةُ وضمانُ سعي الإنسانِ رؤية في فكر الإمام عليّ عليه السلام ١٨٧

أ.م. د. علاء حسن مردان اللاميّ

الإمام علي عليه السلام مفسِّرا: الغيبيّات أنموذجًا ٢١١

أ.م.د. مها طالب عبد الله الجبوريّ

المنهجُ الاقتصاديّ للإمامِ عليّ عليه السلام من خلالِ القرآنِ الكريمِ والسنّةِ النبويّةِ ٢٣٩

أ.م.د. ميثم عزيز ثجيل الهلاليّ

المواعظ والحكم القرآنية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) دراسة تحليلية ٢٦٧

أ.م.د. هاشم جبار الزرفي

المسائل القضائيّة للإمام عليّ بن أبي طالِب عليه السلام (ت٤٠ هـ/ ٦٦١ م) في الحدود والقصاص دراسة، فقهيّة، قضائيّة، تأريخيّة، وصفيّة ٢٩٧

أ.م.د. ياسين رشيد الزيباريّ

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني على الخطابة العربية ٣٢١

أ.م.د ماجد مهدي ذياب السلطاني/ م. د. نادية سالم عيسى

المشكلةُ الاقتصاديّةُ والإمامةُ من منظورٍ أقتصاديّ وإسلاميّ معاصرٍ (الإمام عليّ عليه السلام أنموذجا) ٣٤٣

م.د أحمد إبراهيم حسين علي العبيديّ/ م. م. هبة قاسم زويد الموسويّ

الأثرُ القرآنيُّ في سياسةِ الحكمِ الرشيدِ عندَ الإمامِ عليّ عليه السلام ٣٦٧

م.د أركان ناهي موسى/ م.م ناجح كريم جودة

المرجعيات القرآنيَّة في نهج البلاغة دراسة في ضوءِ تحليلِ الخطابِ قراءة في نماذج .. ٣٩٣

م. د عماد طالب موسى جاسم

العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في خطب الإمام عليّ عليه السلام ٤٢٩

م .د. زينة عبّاس فاضل / الباحثة: زينب كامل جواد

الأثرُ الفكري للإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ تاريخيّةٌ ... ٤٥٩

م. د. زيد كميل جواد سماوي الفتلاوي

لفظةُ (الصادقين) في القرآنِ الكريمِ / دراسةٌ تحليليّةٌ ٤٨١

م.د. سرمد محمد بكر / م.م. مرفد محمد بكر

تمثُّلاتُ الشاهدِ القرآنيِّ في نهجِ البلاغةِ..... ٥٠١

م. د. مكاسب عبادي عبود سلمان

أثرُ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام في نشرِ الأخلاقِ الإسلاميّةِ وتعزيزِها دراسةٌ في الحكمةِ والإرشادِ ٥١٩

م. د. مصطفى حسين عبد الرسول

المرجعيات القرآنيَّة في نهج البلاغة دراسة في ضوءِ تحليلِ الخطابِ قراءة في نماذج

م. د عماد طالب موسى جاسم

مديرية تربية كربلاء/ الكلية التربوية المفتوحة/ مركز كربلاء الدراسي

الملخّص:

هذه دراسة للمرجعيَّات القرآنية التي وردت في كلام الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة، وتحليلها بتتبع سياق الخطبة العام والخاص بما فيه المقام التخاطبي وكل أقطاب العملية التواصلية، والوقوف على المعنى العام والسلك الجامع لخطبته والشاهد المذكور فيها؛ على الرغم من تنوع المعالجات التربوية والتوعوية التي تحفل بها خطبه عليه السلام وما اتسمت به من تعدد الموضوعات في الخطبة الواحدة في الأعم الأغلب، مركِّزا على أسلوب عرض الشاهد القرآني في الخطبة ومدى ذوبانه مع كلماتها، ثم أخذ ذلك الشاهد ودراسته في سياقه القرآني وتحديد المسلمات التي عالجها ذلك الشاهد قرآنيًّا، ثم عمل مقاربة بين الاستعمالين ونقصد الاستعمال القرآني للآية المباركة، والاستعمال العلوي لها بوصفها شاهدا في كلامه، وهذه المقارنة قائمة على وحدة الموضوع وطبيعة المخاطبين، والموقع الذي ترد فيه بين الموضوعات ليتسنى للبحث رصد حتى الانتقالات الموضوعية التي تسبق وتلحق ذلك الاستشهاد في كلا الاستعمالين. وقد توسل البحث لمبتغاه بمنهج تحليل الخطاب لما يمنحه هذا المنهج من فسحة في المقاربة والتحلل، والمقارنة قائمة بين دقة الاستعمالين ولطائفها البلاغية.

قُسِّم البحث على مبحثين؛ درس الأوَّل المرجعيات القرآنية النصيَّة، وهو أن تُذكر الآية كاملة في طيات الخطاب، وبيَّن المبحث الثاني الاستشهاد الجزئي بالآية القرآنية، وفحواه بأن يُجتزأ جزء من آية ليكون شاهدا في معرض خطابه عليه السلام ، وبيان آلية إيراد الشاهد القرآني وتفاعله مع سياق الخطبة اللغوي والمقامي.

الكلمات المفتاحية: المرجعيات القرآنيَّة، نهج البلاغة، تحليلِ الخطابِ.

Abstract:

This study traces the Quranic evidence that appeared in the words of Imam Ali, peace be upon him, in the book Nahj al-Balagha, and analyzes it by following the general and specific context of the sermon, including the communicative situation and all the poles of the communication process, and to identify the general meaning and the unifying thread of his sermon and the evidence mentioned in it; despite the diversity of educational and awareness-raising treatments that his sermons, peace be upon him, are full of, and what is characterized by the multiplicity of topics in a single sermon in most cases, focusing on the style of presenting the Quranic evidence in the sermon and the extent of its integration with its words, then taking that evidence and studying it in its Quranic context and identifying the principles that that evidence addressed in the Quran, then making a comparison between the two uses, meaning the Quranic use of the blessed verse, and the use of it by Ali as evidence in his words. This comparison is based on the unity of the subject and the nature of the addressees, and the position in which it appears among the topics, so that the research can observe even the thematic transitions that precede and follow that evidence in both uses. The research employed discourse analysis to achieve its objective, given the breadth of this approach it offers in terms

of comparison and analysis. A comparison is made between the precision of the two usages and their rhetorical subtleties.

The research is divided into two sections. The first examines the textual citation of the Quranic verse, where the verse is quoted in its entirety within the discourse. The second section explores the partial citation of the Quranic verse, where a portion of a verse is extracted to serve as evidence within the context of the Prophet's speech, peace be upon him. This section also explains the mechanism of incorporating the Quranic evidence and its interaction with the linguistic and contextual framework of the sermon.

Keywords: Quranic References, Nahj al-Balagha, Discourse Analysis.

مقدمة

الحمدُ للهِ الذي شَرَعَ الإسلامَ فسهّلَ شرائعَه، وجعلَهُ نورًا لمن استضاءَ به، وبرهانًا لمن تكلمَ به، وشاهدًا لمن خاصمَ به، ربي واجعلْ شرائفَ صلواتِكَ، ونواميَ بركاتِكَ، على محمدٍ عبدِكَ ورسولِكَ، الفاتحِ لمَا سبقَ، والخاتمِ لما انغلقَ، والمعلنِ الحق بالحق، وعلى أهل بيته الذين بهم يُستعطَى الهدى، ويُستجلَى العمى. اللهم اجعلنا ممن يهتدي بهديهم، ويعتصم بعصمتهم، واجعلهم حجة لنا، ولا تجعلهم حجةً علينا.

أما بعد:

فالقرآن الكريم عاصمة تسكنها أنواع العلوم ودقائقها، وما على الحاج إليه إلَّا أن يجد ويجتهد بمطية التفكر وآلة التأمل ليخرج بدقائق العلوم وقوانينها لا بأمثلتها أو قشورها، فهو المعين الذي لا ينضب، والعميق الذي لا يُلامس له قاع.

من هنا كان معجزة خالدة تصمت كل صوت يرنو مناظرته لغويا كان أم علميا أم تربويا...الخ. فهو منذ صدوره عن الرسول صلى الله عليه وآله أصبح نديم العلماء، ونكهة البلغاء، ودليل المحاججة والبرهان.

هذه دراسة تتخذ من نهج البلاغة ميدانا لها؛ لتتدبر دقة الشاهد القرآني الوارد في كلام سيد البلغاء الإمام علي عليه السلام ، والشاهد هو الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة؛ لكون ذلك الجزء من التنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وهذا الحد عام وما نريده نحن في هذا العمل: هو الشاهد القرآني الذي ورد ذكره في خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المجموعة في كتاب نهج البلاغة، وقد ورد لتقوية حجة، أو توضيح مسلمة أو لبيان موعظة، أو لتحذير من شيء، أو لتحبيب شيء، وغيرها من المقاصد الكامنة خلف حضوره.

وقد انطلق البحث من فكرة مفادها تتبع الشواهد القرآنية التي حضرت في كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة وتحليلها بتتبع سياق الخطبة العام والخاص بما فيه المقام التخاطبي وكل أقطاب العملية التواصلية، والوقوف على المعنى العام والسلك الجامع لخطبته بالرغم من تنوع المعالجات التربوية والتوعوية التي تحفل بها خطبه وما اتسمت به من تعدد الموضوعات في الخطبة الواحدة في الأعم الأغلب، مركزا على أسلوب عرض الشاهد القرآني في الخطبة ومدى ذوبانه مع كلماتها، ثم أخذ ذلك الشاهد ودراسته في سياقه القرآني وتحديد المسلمات التي عالجها ذلك الشاهد قرآنيا، ثم عمل مقارنة بين الاستعمالين ونقصد الاستعمال القرآني للآية المباركة، والاستعمال العلوي لها بوصفها شاهدا في كلامه، وهذه المقارنة قائمة على وحدة الموضوع وطبيعة المخاطبين، والموقع الذي ترد فيه بين الموضوعات ليتسنى للبحث رصد حتى الانتقالات الموضوعية التي تسبق وتلحق ذلك الشاهد في كلا الاستعمالين.

وقد توسَّم البحث منهج تحليل الخطاب لما يمنحه هذا المنهج من فسحة في المقاربة والتحليل، والمقارنة قائمة بين دقة الاستعمالين ولطائفها البلاغية.

وقد قُسِّم البحث على مبحثين؛ درس الأوَّل الاستشهاد النصي بالآية القرآنية، وهو أن تُذكر الآية كاملة في طيات الخطاب، وبيَّن المبحث الثاني الاستشهاد الجزئي بالآية القرآنية، وفحواه بأن يُجتزأ جزء من آية ليكون شاهدا في معرض خطابه عليه السلام، وبيان آلية إيراد الشاهد القرآني وتفاعله مع سياق الخطبة اللغوي والمقامي.

المبحث الأوَّل: الاستشهاد النصيُّ بالآياتِ القرآنيَّة

يتطلَّع هذا المبحث إلى تقصِّي الشواهد القرآنيَّة التي استحضرها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه المباركة متمثِّلة بالآيات القرآنيَّة الكاملة التي ذكرها عليه السلام ، ثم البحث عن العلاقات الدلالية بين مقام الآية في سياقها القرآني، ومقام الاستشهاد بها في سياق الخطبة، ومدى الترابط بين السياقين؛ لنكشف - ولو بشيء من التقريب- عن المقاصد الكامنة خلف هذا الاستشهاد، وما أثره في المتلقي، وما مردوداته للمتكلم نفسه.

أولا- بيان خلق آدم وسجود الملائكة له إلَّا إبليس:

جاءت الخطبة الأولى التي افتُتِح بها كتاب نهج البلاغة تتكلم عن ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم، وتدبير الملائكة بأمر الله وعلَّة بعث الأنبياء عليهم السلام[1]، وهذا الحديث له مصاديق وإشارات قرآنيَّة، وهي حاضرة بدقائقها في طيات كلام الإمام علي عليه السلام ، ضمنًا وصراحةً بشكل متداخلٍ ومتماسكٍ يصعبُ إرجاع كلٍّ منها - الإشارات القرآنيَّة- إلى مواقعها في القرآن الكريم إلَّا لأغراض الدراسة والتوضيح، ومن الشواهد القرآنيَّة التي حضرت في خطبة الإمام عليه السلام الأولى نذكر قوله عليه السلام: ((وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ المَلائكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ، في الإذعان بالسُّجُودِ لَهُ، وَالخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ عزَّمِن قائِل: ﴿اسْجُدُوا لِادَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمُ الحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تَعالَى النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْمامًا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾))[2].

الخطبة في صدد بيان تكرمة النبي آدم عليه السلام بسجود الملائكة له، وبيَّن ذلك

---

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٣.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: د. صبحي الصالح: ١/ ٣٩-٤١.

الإمامُ عليٌّ عليه السلام بقوله: (واستأدى الملائكة وديعته لديهم) إذ فيه إشارة إلى قوله تعالى لهم: ﴿إِنِّي خالِقٌ بَشَرًا مِنْ طين * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدين﴾[الحجر: ٢٨-٢٩].

وقد بيَّن المفسِّرون وشرَّاح النهج ماهيَّة ذلك السجود؛ إذ قيل: ((وَهَذَا تَمْثِيلٌ لِتَعْظِيمٍ يُنَاسِبُ أَحْوَالَ الْمَلَائِكَةِ وَأَشْكَالَهُمْ تَقْدِيرًا لِبَدِيعِ الصُّنْعِ وَالصَّلَاحِيَةِ لِمُخْتَلِفِ الأَحوَالِ الدَّالِّ عَلَى تَمَامِ عِلْمِ اللَّهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ))[١] وتابعهم في الرأي شراح النهج في توجيههم للسجود لآدم بقولهم: ((إن السجود لله على وجه العبادة، ولغيره على وجه التكرمة، كما سجد أبو يوسف وإخوته له . يجوز أن تختلف الأحوال والأوقات في حسن ذلك وقبحه))[٢].

وقد تضمَّنت الخطبةُ آياتٍ قرآنيَّةٍ وإشاراتٍ رمزيَّةٍ لقصَّةِ آدمَ عليه السلام وطبيعة خلقه، والسِّر الذي استُودع فيه، وذكر معه إبليس رمز الظلم والمعاصي والتكبر، وهذه الإشارة لا تبعد كثيرا عن الأسلوب القرآني، فقد ذكر القرآن إحدى عشرة آية قرآنية[٣] ورد فيها ذكر آدم عليه السلام ، مع إبليس وهذا التكرار في مواطن عدة في القرآن الكريم يثري التأكيد ويورث العبرة، والحذر من منزلقات الحياة، ولو عدنا إلى سياق الخطبة المباركة لوجدناه سياق يدور في بيان ساحة التكوين والخلقة للجمادات والأحياء، بحسب قوله عليه السلام : ((أَنْشَأَ سُبْحَانَه فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وشَقَّ الأَرْجَاءِ وسَكَائِكَ الْهَوَاءِ...إلخ))[٤].

فكان السياق منصبًّا على بيان أوليّات كلِّ شيءٍ، وبطبيعة الحال فقد اقترنت

(١) التحرير والتنوير : ١٤/ ٤٥، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٥٧٨.
(٢) شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١/ ٨١، وينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٠٠.
(٣) ينظر: سورة البقرة: ٣٤، سورة الأعراف: ١١، سورة الحجر: ٣١و ٣٢، سورة الإسراء: ٦١، سورة الكهف: ٥٠، سورة طه: ١١٦، سورة الشعراء: ٩٥، سورة سبأ: ٢٠، سورة ص: ٧٤و ٧٥.
(٤) نهج البلاغة ، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٣٩-٤١.

أوليّة خلق آدم عليه السلام بقصة سجود الملائكة عليهم السلام تكريمًا لما أُودِع في صلبه من أنوار قدسيَّة: (فَقَالَ عزَّ من قائِل: ﴿اسْجُدُوا لِادَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمُ الحَمِيَّةُ)، ومن أدق الآيات التي بينت هذه المحادثة ما حضر في نص الخطبة هذا وقد ختمها عليه السلام بالاقتباس المباشر من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[الحجر: ٣٧-٣٨] وقيل في تفسير (الوقت المعلوم) إنَّه إشارة: ((إلى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء؛ لأنَّه لا شيء يبقى فلا يفنى، غير ربِّنا الحيِّ الذي لا يموت))[١] وهذا القول لا يكشف (الوقت المعلوم) بدقة، بل هو نتيجة حتمية ينتهي إليها الموعود بوقت كإبليس وغير الموعود بذلك أيضا، فكلٌّ هالك إلا وجهه سبحانه، وهناك من قال: هذا الوقت هو نهاية هذا العالم وانتهاء التكليف؛ لأنَّ بعد ذلك تحل نهاية جميع الكائنات، ومنه يُفهم حصول الموافقة على بعض طلب إبليس[٢]، وهناك من يرى((﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ الْمُرَادُ مِنْهُ الْوَقْتُ الْمَعْلُومُ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالُوا: وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مُكَلَّفًا وَالْمُكَلَّفُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَّرَ أَجَلَهُ إِلَى الْوَقْتِ الْفُلَانِيِّ لِأَنَّ ذَلِكَ الْمُكَلَّفَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى تَابَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ وَقْتَ مَوْتِهِ هُوَ الْوَقْتُ الْفُلَانِيُّ أَقْدَمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ بِقَلْبٍ فَارِغٍ فَإِذَا قَرُبَ وَقْتُ أَجَلِهِ تَابَ عَنْ تِلْكَ الْمَعَاصِي فَثَبَتَ أَنَّ تَعْرِيفَ وَقْتِ الْمَوْتِ بِعَيْنِهِ يَجْرِي مَجْرَى الْإِغْرَاءِ بِالْقَبِيحِ وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى))[٣]، وظاهر (يوم الوقت المعلوم) أنَّه يومٌ تعينَّ في العلم الإلهي نظير قوله تعالى: ﴿وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[الحجر:٢١] فهو معلوم عند الله سبحانه، وأمَّا إبليس فاللفظ لا يكشف أو يؤكد علمه به من عدمه، ونظرًا لكون

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٢/ ٣٣٠.
(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦/ ٥٣٨.
(٣) مفاتيح الغيب: ١٤/ ٢٢٠.

المعصية الإنسانيَّة مستندة إلى إغواء إبليس مستفادة من الآيات والروايات ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦]، و ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩] وغيرها من الآيات ((لكنَّه إنَّما يقتضي بقاء إبليس ما دامت المعصية والغواية باقية، لا بقاءه مادام التكليف باقيًا، ولا دليل على الملازمة بين المعصية والتكليف وجودًا، بل الحجة قائمة من العقل والنقل على أن غاية الإنسان النوعية وهي السعادة ستعم النوع، فتملأ الأرض عدلا وقسطا بعد إن مُلِئت ظلما و جورا، ولا يعبد على الأرض يومئذ إلا الله سبحانه))[١].

ولعل النكتة اللطيفة من الاستشهاد بهذه الآيات يكشفها البناء الموضوعي للخطبة، إذ تعد هذه الخطبة من أهم خطب نهج البلاغة، وما تصدرها النهج إلّا دلالة واضحة على براعة السيد الرضي في الاختيار[٢].

إنَّ ما يميز هذا الاستشهاد أنَّ الآيات القرآنيَّة المباركة جاءت ذائبة تركيبيًّا في سياق الخطبة اللغوي، فجاء الكلام نسيجًا متماسكًا بكل أبعاده المعنويَّة واللغويَّة، لذا نرى قوله عليه السلام : فَقَالَ عزَّ مِن قائِل: ﴿اسْجُدُوا لِادَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ وَقَبِيلَهُ، اعْتَرَتْهُمُ الحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزُوا بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللهُ تَعالَى النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلسُّخْطَةِ، وَاسْتِتْمامًا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ إذ عطف لفظ(قبيله) على (إبليس) والأخير جزء من الآية المباركة، فقدم النص متماسكا لغويًّا، وكذلك

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن:١٢/ ١٦٠.

(٢) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ١/ ٤١.

معنويًّا عندما أخذ يفسِّر علَّة امتناع إبليس عن السجود، وفلسفة الإنظار الإلهي له، وبين هذا وذاك تقوم العبرة لبني البشر بأن يحاربوا إبليس وقبيله، ويتبعوا سبيل الرشاد المتمثل بمحمدٍ وآله الأطهار.

ثانيا: الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له.

١ – البناء الموضوعي للخطبة:

إنَّ الخطبة تتعرض بجميع نصوصها إلى مسألة الخلافة بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والاضطرابات التي أفرزها عصر الخلفاء ممن سبقوه ((أَمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَها فُلانٌ))[١] إذ تشير إلى الاضطرابات التي انتابت الُأمَّة الإسلاميَّة بعيد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، ثم يتطرق صراحة إلى أحقيته بالخلافة من الجميع ((وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ))[٢] مبينا أنَّه عليه السلام الأصلح وأجدرهم بالأخذ بزمام شؤون الأمَّة وزعامتها في ضوء المنطق والدليل والبرهان معربا عن أسفه وابتئاسه لخروج الخلافة عن محورها الأصلي الذي خطط له الإسلام والنبي((فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَد جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَة عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فيهَا الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ))[٣] وذكر وخامة المعضلات التي أفرزها تقاعس المسلمين عن الالتزام بنصوص النبي صلى الله عليه وآله الواردة بشأن زعامة المسلمين عند حديثه عن قضية مبايعة الأمّة((فَمَا رَاعَنِي إلاَّ وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِب، حَتَّى لَقَدْ وُطِيءَ الحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ،

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٤٨.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.

مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ))[١] والأهداف الكامنة وراء قبول البيعة((أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى العُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا))[٢] بعبارات قصيرة غاية الروعة والبيان.

٢- التحليل اللغوي:

افتتح الإمام عليه السلام كلامه بألفاظ مركزية قد بُنيت عليها الخطبة كاملة، ويمكن مقاربة مقاصدها عبر قراءات لغوية لسلسلة الملفوظات المتتابعة التي كونت الخطبة وما تنطوي عليه من صور تشبيهية غاية في الروعة ومنتهى في الدقة والبيان، وهي تبين ما آلت إليه الخلافة فقال عليه السلام: ((أَمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا))[٣] فالضمير في (تقمصها) يعود إلى الخلافة، يُقَالُ: (تَقَمَّصَهُ) من (قَمَصَ) ((فالْقَافُ وَالْمِيمُ وَالصَّادُ أَصْلاَنِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى لُبْسِ شَيْءٍ وَالاِنْشِيامِ فِيهِ، وَالْآخَرُ عَلَى نَزْوِ شَيْءٍ وَحَرَكَةٍ. أما لبس الشيء فمن قَمِيصُ الْإِنْسَانِ مَعْرُوفٌ إِذَا لَبِسَهُ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ ذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَخَلَ فِيهِ الْإِنْسَانُ، فَيُقَالُ: تَقَمَّصَ الْإِمَارَةَ، وَتَقَمَّصَ الْوِلَايَةَ))[٤].

فالخلافة ليست قميصًا يرتديه أي شخص توفرت له الظروف، بل هي رحى الجامعة تحتاج إلى القطب الذي ينظم دورانها لتنتج الخير وصلاح الأمة بدلا من أن تكون دوامة تهلك وتُهلك، وليس للخلافة من غنى عن المحور عليه السلام، وقد رفد ذلك بصورة مركبة ودقيقة قد رسمتها صورتان متضادتان أعطيا بتضادهما سمة الاستمرار

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٤٨.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٧.

والقوة لحجية الدليل، فقال عليه السلام: (ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير)، فقوله عليه السلام (ينحدر عنّي السيل) إشارة إلى رفعة منزلته عليه السلام كأنّه في قمَّة جبل، ينزل السيل عنه إلى السهول والأودية، زاد هذا البيان الصورة الأخرى في قوله عليه السلام (ولا يرقى إلىَّ الطير) فهذه تكشف عن عظيم الرفعة وعلو الشأن من التي قبلها؛ لأن السيل ينحدر عن المرتفعات والهضاب وهذا طبيعي وأمر متوقع، وأمّا تعذر رقي الطير فربَّما يكون للقمم المرتفعة جدًّا، بل ما هو أعلى من قمم الجبال، كأنَّه يقول: إنّي لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها. والتشبيه المذكور يحيلنا إلى صورة مماثلة قد وردت في القرآن الكريم وتشترك معها بالمضمون، وهي تحكي أثر الجبال في استقرار الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَلْقى فِي الأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[النحل: ١٥] فكما يمنح وجود هذه السلسلة العظيمة من الجبال على الأرض السكينة والاستقرار لها ومن ثم للناس، كذلك يمنح وجود الإمام المعصوم والعالم العارف معين الخير والبركة والسكينة لكل الأمّة، والأول تغلب عليه المادية الظاهرة، والآخر المعنوية المدركة بالبراهين.

ويمكن أن يحمل التشبيه على الجانب المعرفي لكون خطاب الإمام عليه السلام يشير إلى تعذر سبر أغوار أفكار الإمام عليه السلام والوقوف على كنه شخصيته وذروة علمه ومعرفته، ولا يتيسر ذلك إلاّ لمعلم الإمام وهو النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وحتى صحابة الإمام عليه السلام كانوا ينهلون بحسب استعدادهم من منهله العذب ويحيطوا بظاهره على قدر معرفتهم وعلمهم، ولعل العبارة المذكورة إشارة إلى هذا المعنى، أي أنا المحور، والرحى، والقوة المحركة، المليئة بالعلم والمعرفة.

وبذلك فإن قمم الجبال تختزن بركات السماء من ثلوج وغيرها ثم تفيض بها على الأرض، ويمكن أن تكون العبارة إشارة إلى قرب الإمام عليه السلام من الوحي

والاغتراف من كوثر النبيﷺ ليديم استمرار البركة وصيانة الدين بعد الرسول الكريمﷺ[١]، فيكون المراد بالسّيل المنحدر عنهعليه السلام هو ((علومه وحكمه الواصلة إلى العباد والفيوضات الجارية منهعليه السلام على الموادّ القابلة، وتشبيه العلم بالماء والسّيل من ألطف التشبيهات ووجه الشبه هو اشتراكهما في كون أحدهما سبب حياة الجسم والآخر سبب حياة الرّوح))[٢]، وقد ورد مثل ذلك التّشبيه في الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ﴾[الملك: ٣٠]، واعتمادا على ما مرَّ ذكره نستطيع الولوج في بيان دقة الشاهد القرآني الوارد في الخطبة وانصهاره معنويًّا في مضامينها.

إنَّ هذه الافتتاحية الصاخبة كانت مقدمة لحدثٍ مهم ذكره الإمام ((عليه إِلَّا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، ومَرَقَتْ أُخْرَى، وقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّه سُبْحَانَه يَقُولُ:﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ولا فَسادًا والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، بَلَى واللَّه لَقَدْ سَمِعُوهَا ووَعَوْهَا، ولَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، ورَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا))[٣].

أشار الإمامعليه السلام في هذا المقطع إلى عصر خلافته ولا سيما أبان البيعة التي شهدت حضورًا كبيرًا للأُمّة في مبايعته والوقوف إلى جانبه، البيعة الفريدة التي لم يعرف التأريخ الإسلامي لها من نظير، فقد وصفعليه السلام كيفية إقبال الناس عليه وهجومهم من أجل البيعة قائلا: (فما راعني إلاّ والناس كعرف الضبع إلىّ ينثالون عليّ من كل جانب)

---

(١) ينظر: نفحات الولاية: ١/ ٢١٥.

(٢) ينظر: ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي: ٢/ ٤١٤.

(٣) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٤٨.

فالتعبير بلفظ (راعني) وهو من ((روع: الرَّوْعُ: الفزع. راعني هذا الأمرُ يَرُوعني، وارتَعْت له، وروَّعَني فتروَّعْت منه. وكذلك كلُّ شيء يَروعُك منه جمالٌ أو كثرةٌ. تقول: راعني فهو رائعٌ. وفرس رائع: كريم يروعك حسنُه، وفرسٌ رائع بيّن الرَّوْعة))[١]، إذ يدل على الهالة الكبيرة التي أحدثها الناس عند بيعته، وأشار (بعرف الضبع) إلى الازدحام الشديد للناس واندفاعهم لمبايعة الإمام عليه السلام فهو مثل يضرب للكثرة والازدحام[٢]. غير أنّ المؤسف هو أنّ الاندفاع لم يكتب له الدوام حين عرضوا للاختبار لتفشل فيه طوائف من المسلمين، وهذا ما صوره الإمام علي عليه السلام إذ قال: (فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وقسط آخرون).

وقد أجمع شرّاح نهج البلاغة[٣] على أنّ المراد بهم (أصحاب الجمل والنهروان وصفين) فقد ذكروا أنّ أصحاب معركة الجمل (هم طلحة والزبير الذين استغلا وجود عائشة لتأليب الناس ضد أمير المؤمنين عليه السلام) الذين نقضوا البيعة هم (الناكثين) من ((نكَثَ العهد يَنْكُثُه نَكْثًا، أي: نقضه بعد إحكامه، ونكَثَ البيعة))[٤]، إذ بايع كلٌّ منهما الإمام عليًا عليه السلام بيد أنَّهما يمنيان أنفسهما بإمارة البصرة والكوفة، وعندما لم يتحقق لهما ذلك غادرا إلى البصرة وعملا على إشعال الفتنة[٥]. و(((المارقين) هم أصحاب النهروان ويراد بهم الخوارج الذي خرجوا على الإمام عليه السلام وهبوا لقتاله بعد

---

(١) العين: ٢/ ٢٤٢.

(٢) معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة): ٢/ ٤٩٧.

(٣) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١/ ١٢٠، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٠١، وفي ظلال نهج البلاغة: ١/ ٩٦.

(٤) العين: ٥/ ٣٥١.

(٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١/ ١٢٠، وشرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٢٠١، وفي ظلال نهج البلاغة: ١/ ٩٦.

قضية التحكيم في صفين))[١]. وهم من وصفوا بالمروق عن الدين كمروق السهم من الرمية[٢].و(القاسطين) ومعنى ((القُسُوط: الميل عن الحق، وقسط يقسط فهو قاسِطٌ))[٣] وهم أهل الشام جيش معاوية. ولعل الجامع بين الآية المباركة وموضوع الخطبة أمور، منها:

أُولًا: بلحاظ الموضوع:

تمثِّل الآية المباركة نقطة تحول في قصة النبي موسى عليه السلام مع قارون وأصحابه، إذ ((إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ مَنْزِلَةَ قَارُونَ نَدِمُوا عَلَى تَمَنِّيهِمْ لَمَّا رَأَوْا سُوءَ عَاقِبَتِهِ، وَعَلِمُوا وُجُوبَ الرِّضَى بِمَا قَدَّرَ الله سبحانه لِلنَّاسِ مِنَ الرِّزْقِ فَخَاطَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِذَلِكَ وَأَعْلَنُوهُ، وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ))[٤]. وقد تمثل الإمام علي عليه السلام بالآية المباركة لبيان حال من تخلف عن الصراط المستقيم واتبع هواه بغير دليل، بما فيه الخروج على إمامه والخليفة المنصب بالنص القرآني، والبيعة الصريحة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثانيا: بلحاظ المخاطبين:

كَانَ المخاطب في السياق القراني ((عَامَّةَ النَّاسِ وَضُعَفَاءَ الْيَقِينِ الَّذِينَ تُلْهِيهِمْ زَخَارِفُ الدُّنْيَا، فَلِذَلِكَ عَظُمَ فِي عُيُونِهِمْ مَا عَلَيْهِ قَارُونُ مِنَ الْبَذَخِ فَقَالُوا إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ))[٥]، كذلك جاءت الآية في سياق الاستشهاد على من غرتهم الدنيا فحَلِيَت فِي أَعْيُنِهِمْ ورَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا، فالإمام عليه السلام يشبههم في البداية بالجهال الذين دفعهم جهلهم

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١/ ١٢٠.
(٢) ينظر: العين: ٥/ ١٦٠، وجمهرة اللغة: ٢/ ٧٩٢.
(٣) العين: ٥/ ٧١.
(٤) الكشاف: ٣/ ٤٣٤.
(٥) ينظر: الكشاف: ٣/ ٤٣٣.

لمخالفته، ثم ينتقل في المرحلة اللاحقة ليصفهم بأنّهم سمعوا هذه الأخبار والحقائق ووعوها وهي ليست خافية عليهم، إلَّا أنّ حبَّ الدنيا والتكالب على حطامها والاغترار بزبرجها ـ ولا سيما بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى التي جرت عليهم ما لا يحصى من الغنائم النفيسة والتعود على الحياة الوادعة المرفهة ولا سيما أبان خلافة عثمان جعلتهم يؤثرون الدنيا على الدين ويبيعون الحقيقة بالخرافة ويضحون بالدار الآخرة ويزهدون فيها، فالعبارات التي أوردها الإمام عليه السلام هي في الواقع عصارة التحليلات بشأن نشوب المعارك الثلاث في عهد الإمام عليه السلام؛ وهو أمر يعد درسًا لجميع المسلمين على مدى التاريخ في أنّهم يعيشون الفرقة والتشتت وتمزق عرى الوحدة كلما أقبلوا على الدنيا واغتروا بزخارفها وزبرجها، ونشاهد اليوم بكل وضوح أنّ الاختلافات السائدة في أوساط المسلمين إنّما تعزى لما بينه الإمام عليه السلام و أوجزته الآية القرآنيَّة الشريفة (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين).

وهنا يكمن دقة الاستشهاد في التماثل التام بين سياق الآية القرآني وموضع الاستشهاد بها في الخطبة المباركة.

ولو عملنا مقارنةً بين المخاطبينَ في السياق القرآني ـ قوم موسى عليه السلام والمعنيّينَ في سياق الخطبة المباركة الذين وصفهم الإمام عليه السلام بقوله: (فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ، ومَرَقَتْ أُخْرَى وقَسَطَ آخَرُونَ) لوجدنا أن أعداء النبي موسى عليه السلام عادوا إلى طريق الرشاد وأذعنوا لحكم الله سبحانه في خلقه بدليل قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص:٨٢]، أما أعداء الإمام علي عليه السلام فقد تمادوا بالبغي والظلم حتى باتوا جنودا للشيطان، هدفهم مغانم الدنيا وزينتها.

٣- أضواء على الخطبة:

تقوم الخطبة - وكذا الخطب الباقية للإمام عليه السلام - على جواهر الألفاظ؛ إذ تشعرك كل لفظة بمركزيتها ودقة اختيارها لتؤدي دورها الفاعل في بيان مقاصد الإمام علي عليه السلام بحيث يتعذر الإجراء الاستبدالي للمفردات في جسد الخطبة، وأي عمل من هذا القبيل مع أي لفظ فإنه لا شك سيهدر دقة المعنى ويبدد غاية المقصد، ولنقف هنا عند أمثلة تطرق لها بعض شراح النهج لبيانها وتحليلها.

قال الإمام علي عليه السلام: (أرى تراثي نهبا)، والتراث: من (ورث): ((**الإيراث**: الإبقاءُ للشّيء.. يُورِثُ، أي: يُبقي ميراثًا. وتقول: أورثه العِشقُ هَمًّا، وأورثته الحُمَّى ضَعفًا فوَرِثَ يَرِثُ. والتُّراث: تاؤه واوٌ، ولا يُجْمَعُ كما يُجْمَعُ الميراث. والإرث: ألفه واوٌ، لكنّها لما كُسِرَتْ هُمِزَتْ بلغة من يهمز الوسادَ والوِعاء، وشبهه كالوِكاف والوِشاح.. وفلان في إرث مَجْدٍ. وتقول: إنّما هو مالي من كَسبي وإرْثِ آبائي))[1].. فعبر عن الخلافة بـ(التراث) ليذكر السامعين أنّ الخلافة إرث معنوي وإلهي ينتقل من النبي صلى الله عليه وآله إلى أوصيائه المعصومين عليهم السلام فهو ليس من قبيل الإرث الشخصي والمادي والحكومة الظاهرية[2]، وقد ورد شبيه هذا المعنى في الآيات القرآنيَّة بشأن زكريا عليه السلام الذي سأل الله من يرثه ويرث آل يعقوب ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:٥-٦].

لعلَّ هذا الإرث يتعلق بجميع الأمّة إلّا أنّ الإمام خليفة النبي صلى الله عليه وآله هو الذي يضطلع به، ونقرأ بشأن وراثة الكتاب السماوي في القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا﴾[فاطر:٣٢] ، وعلى غرار ذلك ورد الحديث

---

(١) العين: ٨/ ٢٣٤.

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١/ ١٢٣.

النبوي المشهور ((العلماء ورثة الأنبياء))[١]. وشاهدنا على ما مرّ معنا سيرة الإمام عليه السلام وحياته التي أفادت عدم تعلقه من قريب أو بعيد بمال الدنيا وحطامها والخلافة، إلّا أن ينهض بوظيفته في إحقاق حق أو إزهاق باطل ـ التي لم تكن تعدل عنده عفطة عنز أو قيمة نعليه. لكن والحال هذه كيف يصف صبره على فقدان الخلافة بالقذى في العين والشجى في الحلق؟ لقد ذهب البعض إلى أنّ مراده بالتراث المنهوب هو فدك التي ورثها رسول الله صلى الله عليه وآله بنته الزهراء عليها السلام ، وقد اعتبر ذلك إرثه لمال الزوجة بحكم مال الزوج[٢]، غير أنّ هذا الاحتمال يبدو مستبعدا لأنّ الخطبة بجميع مضامينها تعالج قضية الخلافة[٣].

المبحث الثاني: الاستشهاد الجزئي بالآيات القرآنيَّة:

يشتغل هذا المبحث على تتبع الشواهد القرآنيَّة الجزئية التي اقتُطعت من آيات مباركة لتقدم في سياق كلامه عليه السلام ، ومقاربة مقاصد حضورها في النص العلوي، وبحسب الآتي:

أولا: من كلام له عليه السلام في تعليم الحرب والمقاتلة في بعض أيام صفين:

قال أمير المؤمنين عليه السلام : ((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ، وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلْسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ، وَأَكْمِلُوا اللَّامَةَ، وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا))[٤].

---

(١) أصول الكافي: ١ / ٣٢-٣٤.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٥٣، وشرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ١/ ٢٥٦.

(٣) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ١/ ٢١٩.

(٤) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ١٠٤.

تجلبب من ((جلباب الثوب المشتمل على البدن وعادة ما يطلق على الثوب الذي تستر به المرأة رأسها وعنقها وبعض صدرها وظهرها، وهو أطول من الخمار وأقصر من الرداء))[١] الذي أكَّده الإمام عليه السلام هو أن يتحلى المقاتل بالسكينة والحلم والوقار؛ لأنّ أدنى اضطراب في ميدان القتال أمام العدو يكشف عن ضعف المقاتل وعجزه، وهذا ما يقوي جرأة العدو في اقتحام الميدان والمبادرة إلى الهجوم.

ومصطلح (**السكينة**) قد حكاه القرآن الكريم في غير موضع إشعارًا بشأن السكينة وأهميتها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إِيْمانًا مَعَ إِيمانِهِمْ وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَكانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الفتح:٤] وفي موضع آخر ورد قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:١٨] إذ وردت (السكينة) مرتين في سورة الفتح، وقد سبقت لفظة (السكينة) بلفظة(الفتح) في الآية الأولى، بينما ختمت باللفظة نفسها في الآية الثانية، وقد رمز لها الإمام علي عليه السلام في خطبته التفاعلية ليعيد المسلمين إلى أجواء عصر فجر الرسالة أيام رسول الله صلى الله عليه وآله ليضفي الطمأنينة والسكينة عليهم، ويوثِّق عقيدتهم بصحة الطريق الذين يسيرون فيه مع ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله، ولذلك نجد الإمام قد مدهم بعامل آخر في تقوية عزيمتهم عند قوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله)، وهذه السكينة كانت هي العامل الذي وقف وراء انتصار المسلمين في كافة الغزوات التي خاضوها ضد معسكر الكفر والشرك، وهى التي شدت أزر النبي صلى الله عليه وآله في أثناء تلك الشدائد التي منها دخوله صلى الله عليه وآله إلى غار جبل ثور وكان العدو يقف على باب الغار بحثًا عنه[٢].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ٧/ ٤٣٩.

(٢) ينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٥٦.

ولا نغفل رمزية الثنائية التي قدمها الإمام علي عليه السلام في قوله: (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله)، فالمقطع الأول منها: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ﴾ له امتداد قرآني دقيق ومصاديقه كثيرة فيه وكلها تدل على العناية والاهتمام، ومنها ما ورد في الآيات الآتية: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:٣٩] ،ومعنى ((لِتُصْنَعَ بِكَسْرِ لَامِ كَيْ وَضَمِّ التَّاءِ وَنَصْبِ الْفِعْلِ أَيْ وَلِتُرَبَّى وَيُحْسَنَ إِلَيْكَ. وَأَنَا مُرَاعِيكَ وَرَاقِبُكَ كَمَا يُرَاعِي الرَّجُلُ الشَّيْءَ بِعَيْنَيْهِ إِذَا اعْتَنَى بِهِ))[1]، وفي وقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[هود:٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[المؤمنون:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[الطور:٤٨] وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ* تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾[القمر:١٣-١٤] ثم انتقل إلى البعد النبوي وهو الخط الذي يساير القرآن ويفسره، فعبارة (وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله) ولربما كان من مقاصد الإمام الكامنة في هذه العبارة القربى الروحية المرتبطة بالتنزيل والوحي، ولا يمنع ذلك من إرادة القربى النسبية معها؛ لأنهما متعانقتان بينهما كتعانق النبوة والإمامة، أو النبوة والوصاية بينهما، ومحصلة القول أن هذين البعدين الإشاريين يقدمان زخما معنويا يرفع من همة أصحاب الإمام علي عليه السلام في مواجهة الأعداء.

(١) البحر المحيط في التفسير: ٧/ ٣٣٢.

وقال عليه السلام : ((وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللّهِ، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله فَعاوِدُوا الْكَرَّ، واسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ، فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الأَعْقَابِ، وَنارٌ يَوْمَ الْحِسابِ وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا، وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجُحًا، وَعَلَيْكُمْ بِهَذا السَّوادِ الأَعْظَمِ، وَالرِّواقِ الْمُطَنَّبِ، فاضْرِبُوا ثَبَجَهُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا، وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا. فَصَمْدًا صَمْدًا! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَ أَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ))[1].

خاض الإمام عليه السلام في هذا القسم من الخطبة برفع معنويات جنده وأوصاهم بالثبات في القتال بغية استئصال شأفة العدو فقال لهم: (واعلموا أنّكم بعين اللّه) فاذا علم الإنسان أنّه بعين سيده القادر على كلِّ شيء والمحيط به فإنَّه يستلهم منه العزم والقوة وعدم الشعور بالوحدة من جانب، ومن جانب آخر يلفت نظره إلى عظم المسؤولية والوظيفة التي ينبغي أن ينهض بعبئها. وقد ورد هذا المعني في قصة نوح عليه السلام - كما ذكرنا- حين أمر بصنع السفينة ﴿وَاصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا﴾ في إشارة إلى أنّ العدو قد يحاول أن يعيقك عن القيام بهذا العمل من طريق السخرية والاستهزاء، أو من طريق ممارسة الحرب الدعائية والضغوط النفسية، فلا تكترث لهذه الأمور ولا تخف فإنّك تعمل وفق المشيئة الإلهية الغالبة. وهو ذات المعنى الذي ألمحت إليه الآية الشريفة: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾ في إطار رباطة جأش النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حيال تكالب الأعداء. ثم قال عليه السلام : (و مع ابن عمّ رسول اللّه) ابن عمه الموصوف بإخوته ووصيه ومن كان يتبعه اتباع الفصيل إثر أمه. وعليه فلا ينبغي أن تشعروا بأدنى شك وترديد في مسيرتكم فاندفعوا بكل ما أوتيتم من قوة لقتال عدوكم، هذا في الوقت الذي يمثل فيه عدوكم سلالة أعداء رسول اللّه صلى الله عليه وآله،

(١) نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ١٠٤.

فوالد معاوية هو أبو سفيان الذي كان أعدى أعداء رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعليه فهو غاصب للخلافة لا بدّ من مقاتلته وإعادته إلى الحق. أمّا تأكيد الإمام عليه السلام على قرابته من النبي صلى الله عليه وآله بالرغم من كونه أمرًا متعارفًا لدى العقلاء الذين يرون قرابة الشخص أعلمهم بما جاء ما لم يقم الدليل على خلافه إلّا أنّه يمكن أن يكون إشارة إلى حديث الثقلين الذي جعل فيه رسول اللّه صلى الله عليه وآله أهل بيته في مصاف القرآن ودعا الأمّة إلى وصيتين هما في الواقع بمثابة اللازم والملزوم، فقال: (فعاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، فإنّه عارٌ في الأعْقاب، ونارٌ يوم الحساب) فالعدو ((قد لا ينهار من كرة واحدة ولا بدّ من الكرة تلو الكرة لإضعاف العدو والقضاء عليه من جانب، ومن جانب آخر لا تحدثوا أنفسكم أبدًا بالفرار من جبهات القتال، فانّ ذلك عار يوصم به جبينكم كما تجروه على أعقابكم من بعدكم فإنَّ الأبناء يعيرون بفرار آبائهم هذا في الدنيا؛ هذا اذا كان (أعقاب) جمع عقب بمعنى الأولاد، أما إذا كان (عقب) على وزن (قفل) بمعنى العاقبة وما يؤول إليه الأمر فإن مفهوم العبارة ﴿فإنّه عارٌ في الأعْقاب﴾ سيكون الفرار من الجهاد عار في عاقبة أمركم))[1] و هذا الفرار سيكون وبالاً عليكم يوم الحساب فتردون النار؛ لأنّ الفرار من الزحف يعد من الكبائر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر بقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ* وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفًا لِقِتال أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلى فِئَة فَقَدْ باءَ بِغَضَب مِنَ اللّهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾[الأنفال:١٥-١٦] ثم قال الإمام عليه السلام: (فإنّ الشّيطان كامنٌ في كسره وقد قدَّم للوثبة يدًا، وأخّر للنّكوص رجلًا) إذ قيل: ((المراد بالشيطان هنا معاوية حيث جمع الأفكار والأعمال الشيطانية))[2] بينما

(١) نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٦٠.
(٢) م.ن: ٣/ ٦٠.

ذهب بعض شرّاح نهج البلاغة إلى أنّه أراد بالشيطان عمرو بن العاص[١]، وقيل قد يراد به الشيطان الحقيقي (إبليس) الذي كان يتلاعب بمعاوية وعسكره آنذاك. وقد صور الإمام عليه السلام بهذه العبارة حال معاوية ((الذي كان يعد نفسه للهجوم من جهة وهو يهم بالنكوص والفرار من جهة أخرى، وهذه هو الأسلوب المتبع لدى الحكام الماديين، فلا يملكون هدفا مقدَّسًا يقاتلون من أجل تحقيقه، فيهربون هروب القطيع من الذئب إذا ما جابهتهم ثلة من المؤمنين))[٢]. وقد صرح القرآن الكريم بشأن أعوان الشيطان في مجابهتهم للمؤمنين وكيفية تخلي الشيطان عنهم قائلًا عن لسانه القرآن: ﴿وَإِذ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمّا تَراءَتِ الفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ العِقابِ﴾ [الأنفال:٤٨] ولا يقتصر هذا الأمر على الشيطان ـ إبليس ـ وذلك ((أنَّ الشيطان لمَّا كان عبارة عن شخص يضلّ الناس عن سبيل اللَّه، وكان معاوية في أصحابه كذلك عنده عليه السّلام لا جرم أطلق عليه لفظ الشيطان، ولمّا كانت محالّ الفساد هي مظنّة إبليس، وكان المضرب قد ضرب على غير طاعة اللَّه كان محلًّا للشيطان، فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره))[٣] وقوله عليه السلام: (وقد قدّم للوثبة يدا وأخّر للنكوص رجلا)، فهو كناية بيد أنَّ تفسيرها مختلف بحسب المكنى عنه، فإذا كان المقصود منه معاوية بعينه أو عمر بن العاص فهي كناية تردد ومكر وتحينه الفرص للمكر والخداع فإن جبنوا وثب، وإن استبسلوا نكص وهرب، أو قد يكون المقصود الشيطان بعينه فتكون ألفاظ الوثبة والنكوص واليد والرجل على سبيل الاستعارة، ويكون قوله عليه السلام (قدّم للوثبة يدا) كناية عن

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٢/ ١٨٢.
(٢) م.ن: ٢/ ١٨٢.
(٣) م.ن.

تزيينه لمعاوية وأصحابه الحرب والمعصية، وقوله عليه السلام: (وأخّر للنكوص رجلا) كناية عن استعداده للهروب من الواقعة إذا التقى الجيشانِ، وقد حكى اللَّه سبحانه عنه: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الأنفال:٤٨].

ثم اختتم الإمام عليه السلام خطبته قائلًا: (فصمدًا صمدًا) حتّى ينجلي لكم عمود الحقّ ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ﴾ فالواقع أنَّ هذه العبارة تمثل نتيجة لما أورده الإمام عليه السلام ودعا إليه صحبه، بمعنى ((أنَّكم قد وقفتم الآن على التعليمات الكافية والفنون القتالية وكيفية الهجوم على مركز تجمع العدو، فما عليكم إلاّ الثبات والصمود والمقاومة لاندحار الباطل وانتصار الحق))[1] ثم يعدهم بالنصر استنادا إلى البشارة التي تضمنتها الآية المباركة: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٥] فقد قدم عليه السلام مرجعيات قرآنية ونبوية ومن دقة الاستشهاد بالآيات القرآنيَّة هنا :

١- تحدث عن الفتح والغلبة فرمز إلى آيات قرآنية من سورة الفتح مقرونة بألفاظ الفتح.

٢- تحدث عن العناية والاهتمام فقدَّم ألفاظًا ذات مدلولات قرآنية تحيل إلى آيات قرآنية تتضمن الرعاية والاهتمام الذي يمنحه الله سبحانه لعباده الصالحين.

٣- استند إلى قربته الروحية والنسبية من النبي محمد صلى الله عليه وآله فاستشهد بآيات قرآنية من سورة محمد.

تُقدِّم الخطبة دروسًا عظيمة في التعرف على أساليب القتال وعناصر النصر من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٩/ ١٤٦ وينظر: نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٧٠.

دون أن تقتصر على زمان الإمام عليه السلام ويشير التأريخ إلى مدى التأثير الذي لعبته كلمات الإمام عليه السلام حتى ورد في كتاب صفين لنصر بن مزاحم أنّ الإمام عليه السلام حين أورد هذه الكلمات ودعا صحبه أثناء صفين للهجوم على أهل الشام انطلق أكثر من عشرة آلاف خلف الإمام عليه السلام ووثبوا إلى رماحهم وسيوفهم ونبالهم فانقضوا على جند معاوية حتى اقتربوا من خيمته فكاد يقضي عليه لولا تلك الخدعة التي عمد إليها ابن العاص في رفع المصاحف على أسنة الرماح(١).

ثانيًا: في ذم الدنيا:

ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا قوله: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لاَ تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلاَ تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا، غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، لاَ تَعْدُو- إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا والرضى بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وتعالى: ﴿كَمَاء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ ... اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضِيقًا، وَبِالأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الْدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾))(٢).

لقد حذَّر الإمام عليه السلام في مستهل الخطبة الناس من الدنيا؛ لأنَّها فانية وغرَّارة، ثم كشف عن ماهية واقعها وحقيقتها من طريق وصفها والتعرض لغرورها وخداعها؛ فبيَّن عليه السلام خداع الدنيا ((ذات الظاهر اللطيف الذي انطوى على اللذّات والشهوات، وهو

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١ / ٢٩.
(٢) نهج لبلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٨٥.

أمر يجعلها مرغوبة تتصاعد إليها الأنظار بفعل عينيتها ومثولها للإنسان بالرغم من ضحالة نعمها وتفاهتها، إلاّ أنّها تحلّت بالآمال وتزيّنت بالغرور لتسوق إليها هذا الإنسان))[1].

لو أمعنا النظر في مرجعيات مقطع خطاب الإمام عليه السلام السابق الذي وصف الدنيا نجدها اقتباس ممّا صرحت به بعض الآيات القرآنيَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] وقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[الرعد: ٢٦] وقال جل اسمه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠] وجاء في موضع آخر: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[الإنسان: ٢٧] كما جاء أيضًا: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ...﴾[آل عمران:١٤] وقال تعالى أيضًا: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر: ٣].

هذا التمثل البليغ بالمضامين القرآنيَّة إنَّما يمثل ترجمة للقرآن الكريم بدقة متناهية وهي ترجمة تربط المضامين القرآنيَّة بالحياة الاجتماعية، وجعله - القرآن- يتحرك مع حركتها- الدنيا- ليكون القرآن الكريم بما يحمله من قصص وعبر وتعاليم المرجع في نجاة الناس وخلاصهم من مغريات الدنيا وبهرجها الخداع.

---

(١) ينظر: نفحات الولاية: ٥/ ٥ - ٦.

ثم واصل الإمام عليه السلام كلامه بأنّ نِعم الدنيا وسرورها إلى انقطاع وهو فانٍ، ولا يوجد إنسان بمأمن من نوائبها وحزنها، تخدع الناس وتغرهم وتمنيهم ولا يصيبون منها غير الضرر والخسران، فهي لاَ (تَدُومُ حَبْرَتُهَا)- أي حسنها وجمالها[١]- (وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا. غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ) - بمعنى متغيرة لا تدوم[٢]- نَافِدَةٌ- بمعنى انْقِطَاعِ شَيْءٍ - وَفَنَائِهِ[٣]، بَائِدَةٌ- أي منتهية[٤]- أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، وفيها دلالة على خَتْلٍ وَأَخْذٍ مِنْ حَيْثُ لَا يُدْرَى[٥]، أضف إلى ذلك دلالة بنائها الصرفي الذي يدل على المبالغة، فخصَّص الإمام عليه السلام الدنيا ليتحدث بهذه العبارات الرائعة البيان عن تقلب أحوالها وعدم ثباتها، فليس هنالك من دوام واستمرار لأي من مفرداتها من قبيل حلاوتها وطلاوتها ونعمها وثرواتها وإمكاناتها وآمالها ورغباتها ونشاطها وعنفوان الشباب فيها، فكل هذه الأمور محكومة بالفناء والزوال، وبناء على هذا فلا يركن إليها إلَّا جاهل غافل.

٣- دقة توظيف الشاهد:

اختتم الإمام عليه السلام كلامه في هذا القسم من الخطبة، بالقول: ((أَتَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَاء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا * تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللّٰهُ عَلَى كُلِّ شَيْء مُقْتَدِرًا﴾))[٦].

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٤/ ١٥٧.
(٢) ينظر: م.ن: ٢/ ١٢١.
(٣) ينظر: م.ن: ٥/ ٤٥٨.
(٤) ينظر: م.ن: ١/ ٣٢٥.
(٥) ينظر: م.ن: ٤/ ٤٠٢.
(٦) نهج لبلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٨٥.

فقد عزَّز الإمام عليه السلام إثبات مراده من طريق والاستشهاد بالتشبيه الرائع الذي ورد في الآية القرآنية في سورة الكهف بشأن الدنيا، التي ترسم صورة حيَّة متحركة أمام (السامع/ القارئ) ليعيش استشعارها عبرة؛ لأنَّ هذه الأمور لا يكتب لها الاستمرار والدوام، فلم تشهد هذه الحالة سوى بضعة شهور لتذبل تلك الأوراق وتنتهي الثمار، وتتبدل الخضرة يبوسة وجفافًا، وهذه حقيقة الحياة الدنيا التي تعيشها البشرية حيث يتّجه كل شيء فيها نحو الزوال فيا له من تشبيه رائع وعجيب، جيء به لتقوية الاستدلال وترسيخ الفكرة. واللطيفة في هذا الشاهد القرآني تكمن في طريقة تقديمه؛ إذ الآية المباركة تقول: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[الكهف:٤٥] وهي جاءت في خاتمة سياق المحاورة بين الرجلين في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف: ٣٢-٣٤].

بلحاظ سياق الآيات السابقة فالضمير (لهم) في (وَاضْرِبْ لَهُمْ...) عائد إلى الطائفة المتجبرة التي أرادت من النبي صلى الله عليه وآله أن يطرد فقراء المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[الكهف:٢٨] ليقف ((الرَّجُلُ الْكَافِرُ بِإِزَاءِ الْمُتَجَبِّرِينَ وَالرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ بِإِزَاءِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَظَهَرَ بِضَرْبِ هَذَا الْمَثَلِ الرَّبْطُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا إِذْ كَانَ مَنْ أَشْرَكَ إِنَّمَا افْتَخَرَ بِمَالِهِ وَأَنْصَارِهِ، وَهَذَا قَدْ يَزُولُ فَيَصِيرُ الْغَنِيُّ فَقِيرًا، وَإِنَّمَا الْمُفَاخَرَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فيكون التَّقْدِيرُ : ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا قِصَّةَ رَجُلَيْنِ﴾ وقوله تعالى: (جعلنا) تَفْسِيرٌ لِلْمَثَلِ فَلَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ الْإِعْرَابِ، وَيَجُوزُ أَنْ

يَكُونَ مَوْضِعُهُ نَصْبًا نَعْتًا لِرَجُلَيْنِ. وَأُبْهِمَ فِي قَوْلِهِ: (جَعَلْنا لِأَحَدِهِما) وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ هُوَ الْكَافِرُ الشَّاكُّ فِي الْبَعْثِ، ولربما خرج هذا الإبهام للتبعيد أو الاحتقار، وَأَبْهَمَ تَعَالَى اسمه (مَكَانَ الْجَنَّتَيْنِ) إِذْ لَا يَتَعَلَّقُ بِتَعْيِينِهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ، وكانتا لأخوين، فَبَاعَ أَحَدُهُمَا نَصِيبَهُ مِنَ الْآخَرِ وَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى عَيَّرَهُ الْآخَرُ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا هَذِهِ الْمُحَاوَرَةُ قَالَ: فَغَرَّقَهَا اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَإِيَّاهُمَا عَنَى بِهَذِهِ الْآيَةَ))[1].

ومهما أصاب الإنسان من نعيم الدنيا وفتحت له ذراعيها ينبغي له أن يرقب مرضاة الله في ما أعطاه من رزق، ويبتعد عن الطغيان والتكبر وألّا يجعلَ نفسه عبدا لملذات الدنيا، ولا أروع من الصورة التي رسمها القرآن الكريم لجنة الكافر هذا، فتأمل ((هذه الهيئة التي ذكر الله، فإن المرء لا يكاد يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس: جنتا عنب أحاط بهما نخل، بينهما فسحة، هي مزدرع لجميع الحبوب، والماء الغيل يسقى جميع ذلك من النهر الذي قد جمّل هذا المنظر، وعظم النفع، وقرب الكد، وأغنى عن النواضح وغيرها))[2]، فراقت له وظنّ أنهَّا لن تبيد أبدًا بل شك حتى في الميعاد﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾[الكهف:٣٦] فجاءها أمر الله فذهبت هباء منثورا ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[الكهف:٤٢] وذهب نعيم الدنيا ولم تغن عنه شيئا ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾[الكهف:٤٣] وبذلك استوى مثل الحياة الدنيا الذي بيَّنت شيئا منه الآية موضع الشاهد في الخطبة، ومن هنا نلمس دقة الاستشهاد بالآية المباركة الواردة في الخطبة، إذ تجمع بينهما - الآية القرآنيَّة

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٧/ ١٧٤.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٥١٦.

وموضوع الخطبة- ملامح عدة، أهمها وحدة الموضوع وهو التحذير من مغريات الدنيا، وعدم ثبات نعيمها مهما بلغ من الكثرة، فكل هذه الأمور محكومة بالفناء والزوال، وبناء على هذا فينبغي ألَّا يركن إليها من كان يريد نعيم الآخرة.

ثم ختم كلامه عليه السلام بشاهد قرآني آخر، في قوله: ((فَجَاؤُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الْدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾))[1].

وخلاصة القول إنَّ الإمام عليه السلام يدقق على استكثار الأعمال الصالحة التي تنجي العبد من يوم عبوس قمطرير ؛ لأن الشيء الوحيد الذي يحمله معه هو عمله والـذي قد يكون أحيانًا وبـالًا عليه وأعظم بلاء يصيبه، وهو الأمر الذي أكّده الإمام عليه السلام ، مؤكدا عليه السلام على نقطتين في هذا المقال:

الأولى: عودة الإنسان إلى الأرض كما خلق منها.

الأخرى: النشأة الجديدة في الآخرة، ثم استشهد عليه السلام بالآية القرآنيَّة الكريمة: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤] لكي لا يبقى أدنى مجال للشك في حقيقة عودة الإنسان إلى التراب الذي خلق منه فيرى هناك جزاء أعماله من ثواب أو عقاب[2].

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د.صبحي الصالح: ٨٥.

(٢) ينظر: نفحات الولاية : ٥/ ٢٩.

الخاتمة:

الحمد لله حمدًا حمده به الأنبياء والأولياء والعباد الصالحون والصلاة والتسليم على أنبياء الله و رسله أجمعين، بالأخص خاتمهم وأفضلهم محمد المصطفى وأهل بيته الذين طهرهم و أذهب عنهم الرجس و جعلهم القدوة للناس إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد عالجت صفحات هذا البحث أمرا مهما؛ إذ نقبت عن الشواهد القرآنيَّة في نهج البلاغة، فانسدل فيض قرآني منها يصدح بدقة الاختيار، وروعة السبك، وجمال الأسلوب، ويمكن إجمال ما وافق البحث من نتائج - وإن باختصار- في مسيرة هذا الكتاب الذي يعد فاتحة لأجزاء عدة إن شاء الله.

١- شكل الشاهد القرآني بشقيه الصريح والضمني ظاهرة بارزة طغت على غيرها من الشواهد الشعرية والأمثال.

٢- رصد البحث ثلاثة أنواع من الشواهد القرآنيَّة من حيث الشكل، وهي:

أ- الشواهد القرآنيَّة النصية، وهي التي تذكر فيها الآية كاملة من دون حذف منها.

ب- الشواهد القرآنيَّة الجزئية، وهي الشواهد التي تقتطع من آيات قرآنية تعالج فكرتها مسلمة معينة في مضمون الخطبة.

٣- جاء الشاهد القرآني لأغراض متعددة - بحسب فهم البحث- فمنها ما جاء لغرض حجاجي بقصد إثبات فكرة أو نفيها، ومنه جاء لغرض الوعظ والإرشاد، والتحذير من منزلقات الدنيا، ومنها جاء لوصف ظاهرة معينة وتقريبها من الأذهان.

٤- قد استأنس البحث بدقة الأسلوب الذي يعرض به الشاهد القرآني؛ إذ يأتي - الشاهد- ذائبا في سياق الكلام اللغوي من حيث الإعراب وموقعيته من الكلام،

ومن حيث تتابع المعاني التي تُطرح.

٥- وقف البحث على التماثل الموضوعي والمكاني بين الشاهد القرآني وسياق كلامه عليه السلام ، وذلك يتضح عبر تتبع سياق كلام الإمام وما فيه من تتابع أفكار، وتتبع سياق الآية القرآني التي يستشهد بها الإمام عليه السلام ، فنجد السياق واحد وتتابع الأفكار نفسها بين السياقين، كأن يكون الحديث عن الدنيا، أو الآخـرة، وغيرها من الموضوعات.

٦- من طريق عرض الشواهد القرآنيَّة التي ترد في كلام الإمـام عليه السلام ولاسيما الضمنية منها وجدناها - الشواهد- تسهم إسهاما كبيرا في تفسير كلامه عليه السلام قرآنيا.

هذا واستغفر الله لي ولكم، ونسأل الله أن يكون هذا العمل عتبة صدق عند مليك مقتدر، والصلاة والسلام على خير الأنام أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. أصول الكافي، الشيخ الكليني(ت: ٣٢٩)، شرح سيد هاشم رسولي، انتشارات علمية إسلامية.

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مع تهذيب جديد، تأليف العلامة المفسر آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٣. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.

٥. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٧. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- عيس البابي الحلبي وشركاه، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان.

٨. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (٦٧٩هـ)، تحقيق: عنى بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها، مركز النشر الاعلامي الاسلاميت الحوزة العلمية – قم – ايران، ط١، ١٣٦٢هـ.

٩. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية(ت: ١٤٠٠)، انتشارات كلمة الحق، مطبعة ستار، ط١، (د. ت).

١٠. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

١٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، - ١٤٢٢ هـ.

١٤. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.

١٦. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط١، ١٤١٢هـ.

١٧. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ.

١٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.

٢٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي(٥٧٣هـ)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، مكتبة آية الله المرعشي العامة، - قم، مطبعة الخيام- قم، ١٤٠٦هـ.

٢١. الميزان في تفسير القران، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة العلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٢. نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، موقع كاسر الصنمين، ٢٠٠٧- ٢٠٠٨.

٢٣. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، جمع الشريف الرضي، تحقيق وضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.